جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

مقياس علم الاجتماع وقضايا الوطن العربي

المحاضرة الثالثة: السوسيولوجية الغربية والواقع العربي

اجمع العديد من السوسيولوجيين على ان علم الاجتماع جاء كردة فعل لمشكلة النظام في المجتمع وربما كان هذا سبب من أسباب الترابط العميق بين النظرية السوسيولوجية والواقع الذي تفسره ،فكل نظرية تعتبر انعكاس لواقع اجتماعي معين مهما كانت درجة التجديد في تلك النظرية ولذلك سنحاول باختصار التطرق الى إشكالية علم الاجتماع الغربي في الوطن العربي

1-إشكالية علم الاجتماع في الوطن العربي

يعتري علم الاجتماع ما يعتري العلوم من إشكالات، والذي تختلف فيه وجهات النظر باختلاف المنطلقات الفكرية التي ينطلق منها العلماء عموما، وبخاصة الخلاف المحوري بين أنصار علم الاجتماع المحافظ كاتجاه يسود علم الاجتماع الغربي، والذي يعبر في مجمله عن الوضع القائم في المجتمعات الغربية ويعمل على وصفه وتبريره والدفاع عنه وإظهار الجوانب التي تعبر عن الثبات والاستقرار والتكامل والنظام والاتفاق، ويتمثل ذلك في كتابات ا+لمدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع وعلى رأسها (أوجست كونت و دوركايم) وفي المدرسة الانجليزية وعلى رأسها (هربرت سبنسر) والمدرسة الايطالية وعلى رأسها (فلفريدو باريتو) وفي كتابات المدرسة الأمريكية ويتزعمها (بارسونز) وأنصار الاتجاه الوظيفي في علم الاجتماع، وأخيرا المدرسة الألمانية التي يتزعمها (ماكس فيبر). أما الاتجاه الماركسي والذي يأخذ به العلماء في الاتحاد السوفيتي "سابقا" ودول شرق أوربا الصين، فانه يقوم على الاتجاه النقدي وتغير النظم والظواهر الاجتماعية تغيرا ماديا بحتا ويتسم الاتجاه الأول بأنه وضعي مثالي يعمل على وصف ما هو قائم وتبريره. وكما هو معروف، فقد نشأت النظرية الاجتماعية الغربية على إثر التغيرات البنائية والفكرية التي فرضتها الثورتين الصناعية والفرنسية، حيث جاءت النظرية كنتيجة لتراكم منجزات فكرية وعلمية، بمعنى أنها نشأت مستقلة ولو نسبيا في ضوء تطور الحضارة الغربية وسعت منذ البداية للتعامل مع هذا الواقع الجديد. وبالرغم من ذلك فقد نالت المجتمعات الأخرى –غير الأوروبية– اهتماما من طرف البعض

[1].وفي هذا السياق يقول مالك بن نبي أن العلوم الاجتماعية الغربية تطورت في الإطار الحضاري الغربي

خاصة علم الاجتماع الذي تطور في نطاق التطور التاريخي الغربي، وركزت أساساً علي دراسة المشكلات والبحث عن حلول لعلاجها فإننا نجد أن العلوم الاجتماعية تحتوي علي قدر من التحيز، سواء في أبعادها الفلسفية أو في نظرتها، أو في تطبيقاتها العملية وإستخلاصاتها التي توصلت إليها وصاغتها علي هيئة قوانين علمية .يحاول الغرب تعميمها وفرضها كنماذج موحدة للدراسة والتحليل

2- خصوصية المجتمعات العربية وأزمة علم الاجتماع وأزمة علم الاجتماع في الوطن العربي :(معوقات تطبيق النظرية السوسيولوجية في الوطن العربي ا

(أ- إشكالية التنظير للقضايا السوسيولوجية العربية

وترجع إشكالية التنظير للقضايا الاجتماعية في المجتمعات العربية في الأساس إلى اغتراب علم الاجتماع والنظريات الغربية عن واقع هذه المجتمعات. ومن ثم يمكن القول: إن اغتراب علم الاجتماع العربي يمثل منتوجا واقعيا لعملية تصدير الفكر والثقافة الغربية ذات الأصول المجتمعية المختلفة إلى المجتمعات العربية، وهذا راجع إلى أن المجتمعات العربية ارتبطت منذ القرن الثامن عشر والتاسع عشر على وجه التحديد بشبكة علاقات خارجية ذات شكل لا متكافئ مع المجتمعات الرأسمالية، وقد فرضت هذه العلاقات غير المتكافئة استدماج الواقع الاقتصادي والسياسي، ومن ثم الاجتماعي لدول العالم العربي، وتمفصلها مع النظام الرأسمالي العالمي. وعليه أصبحت مهمة علم الاجتماع تتركز في ترسيخ الواقع المتخلف التابع، وتأكيد البنية الاقتصادية الاجتماعية المشوهة لهذه المجتمعات. والنتيجة النهائية لهذا الاغتراب هي اغتراب علم الاجتماع ونظرياته عن واقع المجتمعات العربية، ويظهر ذلك في غياب طرح سوسيولوجي مكتمل النمو أو بالأحرى يظهر بديل لعلم الاجتماع وتبقى النظرية السوسيولوجية في المجتمعات العربية على العموم بحاجة ملحة إلى ابتكار مفاهيم وأطر نظرية تأخذ في اعتبارها القضايا النوعية والظروف المجتمعية لهذه المجتمعات، مؤكدين على مقولات الخصوصية التاريخية في هذا الشأن. وهنا تتشكل أزمة علم مرتبطة بعلم **أزمة علم الاجتماع** الاجتماع العربي لأن الفكر السوسيولوجي مرتبط بالبيئة واحتمال أن تكون الاجتماع نفسه واردة، لأن هذا العلم الذي نشأ في بيئة غربية بحتة، تتمتع بثقافة وعادات خاصة بها حتى في طرق . التي لها مميزات تختلف عن باقي المجتمعات عيشها ومشاكلها الخاصة ة

المحاضرة الرابعة (تابع)

:ب- إشكالية هيمنة المفاهيم الغربية والدور المنوط بعلم الاجتماع في الجامعات الجزائرية

إن المتأمل للكثير من المفاهيم على مستوى العلوم الاجتماعية والإنسانية يجد أنها تنتمي لمكينة الانتاج المعرفي الغربي أو غيره من المناطق الجغرافية الأخرى مثل آسيا وأمريكا اللاتينية. فالمفاهيم المرتبطة بنظريات التبعية والتنمية والعولمة وصراع الحضارات والحداثة وما بعد الحداثة وتحليل الخطاب لم تسهم الجامعات العربية فيها بشيء. وهذا ما أدى إلى أزمة حادة انتابت الدراسات السوسيولوجية في الجامعات العربية متمثلة في التبعية النظرية للحقل المعرفي الغربي.

بأننا بعيدون كل **عبد الرحمن موساوي** فيما يخص دور العلوم الاجتماعية والإنسانية يقر الأنثربولوجي الجزائري البعد عن الدور المنوط بالعلوم الانسانية والاجتماعية، إذ يفصل بيننا وبين الدراسات الاجتماعية الحقيقية التي سبقنا إليها الغرب مدى بعيد مما يستدعي الأمر إعادة النظر في تراثنا السوسيولوجي. إذ يقول: " لقد تم تبني علم الاجتماع في الجامعة الجزائرية منذ سنوات الاستقلال ليس لفضائله الخاصة فحسب، وإنما للاعتقاد بعذريته السياسية واعتباره بديلا للاثنولوجيا المقصية. إن أعمال علماء الاجتماع الجزائريين يجب أن تكون وقتئذ ليست في خدمة الحقيقة الاجتماعية، لكن في مساعدة الدولة للقيام بمشاريع التنمية وبناء الوحدة الوطنية. وعلى أي حال إن الذي تطلبه الجزائر المستقلة من علم الاجتماع هو لعب اتجاه الدولة الوطنية نفس الدور الذي لعبته الاثنولوجيا اتجاه المشروع الاستعماري" لقد تبنت الجزائر سياسة تنموية كان عليها اتباعها للخروج من الأزمة، وقد فرضت هذه السياسة إقحام الجامعة كطرف فعال في عملية التكوين، وبصورة آلية خضعت البحوث والدراسات السوسيولوجية للسياسة نفسها، وللخطاب السوسيولوجي نفسه، وبالتالي أصبح من الضروري على علم الاجتماع الانخراط في العملية التنموية الواسعة التي تخوضها الجزائر والرامية بالدرجة الأولى إلى التحرر من التبعية بجميع أشكالها. وهكذا أصبح علم الاجتماع علما تحرريا يهدف إلى التخلص من التبعية من أجل تحقيق النمو والازدهار لمجتمعه من خلال إيجاد الحلول للمشكلات والاهتمام بمصالح جميع الفئات والشرائح الاجتماعية.

3- واقع الفكر السوسيولوجي في الوطن العربي:

بعد أزيد من نصف قرن مضى على نشأة علم الاجتماع في الوطن العربي وأصبح له حضور مؤسساتي تمثل في كليات وأقسام جامعية ومعاهد ومراكز بحثية غطت معظم أنحاء الوطن العربي ونتج عنها كم هائل من المعلومات، من إصدارات للكتب والدوريات ورسائل الماجستير والدكتوراه، آن الأوان للمهتمين بهذا العلم والمختصون فيه إلى إعادة النظر فيما أنجزه هذا العلم وأيضا فيما لم ينجزه لتكون حصيلة المعرفة المستفادة من تجارب هذه الممارسة الطويلة منطلقا لاستشراف المستقبل والتخطيط له وتحديد المهام التي ينبغي لعلم الاجتماع المستقبل القيام بها في الوطن العربي، خصوصا وأنه في السنين الأخيرة شهد اهتماما متزايدا وتركيزا شديدا على هذا العلم في الوطن العربي. ولقد تعاونت الدوافع والأسباب لهذا الإهتمام المتزايد بعلم الاجتماع وتبعا لذلك تباينت حوله الآراء في ظروف نشأته وفي الدور الذي يقوم به.[5]

يفتقر إلى لكن الملاحظة العامة على واقع الفكر السوسيولوجي الذي يختص به علم الاجتماع في الوطن العربي أنه **آليات بروزه كعلم في حد ذاته**، رغم أن الوطن العربي يحمل طاقات إبداعية تتمثل في مختلف الأعمال النقدية البناءة التي تصف وتحليل المشاكل والظواهر الاجتماعية. فحقيقة الفكر السوسيولوجي العربي أن هناك جهود متفرقة نشرت باللغة العربية والأجنبية حول الملامح العامة لعلم الاجتماع في أقطار مختلفة من العالم العربي، وهذه الجهود العلمية تميزت بالبساطة ولم ترقى إلى تأسيس نظري سوسيولوجي في الوطن العربي لأنها لم تصل إلى مرحلة التنظير لمختلف الظواهر الاجتماعية المنتشرة في المجتمع العربي ومعالجة المشاكل الأساسية في المجتمع، إلا ما نقل عن الغرب من نظريات ومناهج إما عن طريق الإستعمار أو عن طريق الدراسة في بلدان أجنبية أو عن طريق التبعية والتقليد.

يركزون في أفكارهم الخاصة بمختلف العلوم الاجتماعية وما يلاحظ كذلك أن الكثير من الباحثين العرب حيث أن الكثير من الأعمال كانت عبارة عن ترجمات مختلفة لما كتبه السوسيولوجيين **على الفكر الأوروبي** الأوروبيين من أمثال دوركايم، ماكس فيبر، سيمون، وكانت البداية الأولى للإنتاج الفكري متخصصون في الفلسفة والإقتصاد.[6]

المحور الثالث :المحاضرة الخامسة :النظرية الخلدونية

1-مدخل إلى النظرية الخلدونية

1-1نبذة عن حياته عبد الرحمن ابن خلدون:

ولد ابن خلدون بتونس سنة 732هـ \1332م، تولي مناصب سياسية هامة، ثم اعتزل السياسة ليتفرغ لكتابة مقدمته المشهورة ب"مقدمة ابن خلدون" التي هي في الأصل بمثابة تمهيد لكتابه في التاريخ الموسوم" :**كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الكبر** "المشهور بتاريخ ابن خلدون. وعلى امتداد حياته التي استمرت ثلاث أرباع القرن إلا سنة واحدة قضى منها 24 سنة في تونس، 26 سنة متنقلا بين أرجاء المغرب والأندلس، 14 سنة في مصر والشام والحجاز، حيث توفي في القاهرة سنة 808هـ \ 1406م. ولقد أتاحت له رحلاته المختلفة شرقا وغربا في توسيع أفق تفكيره والإنفتاح الذهني نتيجة الإتصال بعلماء ذوي ثقافات فرعية مختلفة داخل الإطار الإسلامي الشامل. كذلك فإن الصراعات السياسية وقرب ابن خلدون منها بل مشاركته في بعضها ساعده كثيرا على صياغة آرائه حول صلاح المجتمعات وتطورها وانهيارها.

غطى نشاط ابن خلدون ميادين الإدارة والسياسة والخطابة والقضاء والدرس والبحث والتدريس والتأليف، تنعّم بالقصور وذاق مرارة الإعتقال والسجن، ودخل غمار الحياة العامة قبل أن يبلغ العشرين من عمره. وتنقل على امتداد عمره بين وظائف كتابة السر وخطة المظالم، وصار وزيرا وحاجبا وسفيرا ومدرسا وقاضيا وخطيبا. وقد مارس كل ذلك بين سلسلة الحوادث والمشاكل وبين ضروب من المنافسات والمخاصمات والإنقلابات السياسية التي اشترك اشتراكا فعليا في عدد غير قليل منها. وقد ساعده ذلك كثيرا في إثراء تأملاته عند كتابة مقدمته، حيث مكنته الخبرة الحياتية العميقة من اكتساب معرفة دقيقة بأحوال العالم الإسلامي كله، بل تجاوز ذلك إلى معرفة ما يحيط بهذا العالم سواء حدوده الغربية في أوروبا أو في حدوده الشرقية المتاخمة الإمبراطورية التترية وهو ما كان لها أكبر الأثر على التكوين الفكري والثقافي لابن خلدون الذي انعكس بعد ذلك في عمله الموسوعي "العبر في ديوان المبتدأ والخبر" ولا سيما الجزء الأول منه المعروف ب**المقدمة** والتي تعتبر أهم إنتاج علمي في العصر الإسلامي الوسيط، وتعد ابتكارا فريدا في فلسفة التاريخ والحضارة.

واشتهر ابن خلدون بدراساته الاجتماعية العلمية التي عرض من خلالها حقيقة المجتمع الإنساني وطبيعة الإنسان وعلاقتها بتكوين الجماعة والنظام الاجتماعي ودرس العلاقة المتفاعلة. ويعتبر ابن خلدون الباحث الاجتماعي الأوفر حظًا بين أبناء جلدته من العرب والمسلمين ومن العلماء والباحثين الغربيين، فقد أجمعت مجمل الدراسات في الشرق والغرب على ألمعيته وريادته في المجالات المعرفية التي لم يقتحمها أحد من الفلاسفة والمؤرخين قبله، فقد فسرت نظرية ابن خلدون علم الاجتماع "العمران" بشكل مبسط، فشرح من خلالها واقع الاجتماع السياسي من منظور التجارب التاريخية.

2-1أهم إسهامات ابن خلدون:

إن أهم الأفكار الاجتماعية لابن خلدون تمحورت في نقاط أساسية والمتمثلة في اكتشافه لعلم جديد ونظريته الاجتماعية **و**التربوية والسكانية والدولة والعصبية وغيرها من الإسهامات الأخرى ومدى فعاليتها في دراسة واقع المجتمعات العربية الإسلامية. فقد كان العلامة عبد الرحمان ابن خلدون يمثل حالة خاصة وفريدة في المرحلة المبكرة في تاريخ الفكر السوسيولوجي ولقد تابع أعماله الكثير من علماء الغرب من مفكرين ومستشرقين ومؤرخين ودرسوا أفكاره فمنهم من وصف مؤلفه ‘‘المقدمة’’ بالمعجزة العربية. إذ ما يميز نظريات ابن خلدون الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والتربوية أن أكثرها قابل للتطبيق في كل زمان وفي كل مكان وبالتالي سيظل عبد الرحمان ابن خلدون الباحث الاجتماعي والاقتصادي والسياسي حجة في نظر الباحثين في كل ما يتعلق بالحياة الاجتماعية والاقتصادية وستظل نظرياته الواردة في مقدمته صالحة للاستفادة منها وهي الإضافة التي سوف تبقى لابن خلدون كعالم عربي مازال حضوره قائما وأفكاره مؤثرة رغم القرون التي مرت على وفاته. لكن وبالرغم من هذا تعاني العلوم الاجتماعية في مجتمعاتنا العربية الإسلامية أزمة تنظير واسعة لعدة أسباب لعل أهمها الاعتماد على

النظريات الغربية البعيدة كل البعد من خصوصية مجتمعاتنا وهذا رغم أن تاريخ الفكر السوسيولوجي يزخر بإسهامات لفلاسفة وعلماء عرب ومسلمين كأمثال ابن رشد والفارابي وابن خلدون.

ولتميز تفكيره و وضوح آرائه واقتصاره على بحث ما هو واقع من ظواهر التاريخ والعمران، يكاد يتفق الدارسون على أنه هو واضع "فلسفة التاريخ" و"المؤسس لعلم اجتماع" مستقل بموضوعه ومنهجه ومسائله، وأول من وضعه على أسسه الحديثة، والذي أطلق عليه "علم العمران البشري" وقد ذكر هذا في مؤلفه ‘‘المقدمة’’ حيث يذكر ...‘‘ :وهذا هو غرض هذا الكتاب الأول من تأليفنا...‘‘، وهو علم مستقل بذاته موضوعه العمران البشري والاجتماع الإنساني"....، وقد كان ابن خلدون على وعي بأنه يقيم علما جديدا بحد ذاته حيث يقول" :واعلم أن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة، غريب النزعة، غزير الفائدة...، و كأنه علم مستنبط النشأة "...وهو العلم الذي جعل فيه ابن خلدون المجتمع الإنساني بما فيه من ظواهر مادة للتأمل والفحص والتحليل، حيث مادة علم الاجتماع وموضوعه في مقدمته.

وقد أكد ابن خلدون في محاضراته على أهمية الربط بين التفكير السوسيولوجي والملاحظات التاريخية. وكان مؤمنا بالدراسة العلمية للمجتمع وبالبحث الإمبريقي وبالبحث في أسباب الظواهر الاجتماعية. كما قام بوضع أسس علم السياسة وتجاوز سابقيه الذين حاصروه فيما يتعلق بصفات وسمات الحاكم أو بعض المراسيم والتقاليد السلطانية، حيث تناول في مقدمته ما يتعلق بالدولة وسلطة الملك ودورها في عملية الضبط الاجتماعي وعوامل قوتها وضعفها ثم انهيارها. كما أن إنتاجه الفكري كان بمثابة ثورة في عالم المنهج العلمي لدراسة المجتمعات ظل الباحثون يقاتلون عليه إلى اليوم. لهذا يعتبر ابن خلدون سابقا لزمانه لأن أفكاره لا تزال ماثلة بيننا إلى اليوم. وظهر ذلك بقوة في منتصف ق20 حين تبلورت أفكار المؤرخين الجدد ونضج علم الاجتماع. لقد أضاءت عبقريته غروب الحضارة الإسلامية في نهايتها .فقد سبقت آراء ابن خلدون ونظرياته ما توصّل إليه لاحقًا بعدّة قرون عددًا من مشاهير علماء الاجتماع الغربيين وعلى رأسهم أوغست كونت الذي يعتبره الكثير بأنه مؤسس علم الاجتماع الحديث بصفة عامة وعلم الاجتماع الفرنسي بصفة خاصة. فالكتابات التي نشرت حول ابن خلدون تحرص دائما على عقد مقارنات بينه وبين الفلاسفة ورواد علم الاجتماع في العصر الحديث من أمثال **مونتسكيو وهيجل وماركس وسبنسر ودوركايم** لتؤكد على أنه ما جاء به هؤلاء وغيرهم إنما يعتمد على الأسس التي وضعها ابن خلدون لدراسات علم الاجتماع والدراسات التاريخية لنشاطات الجماعات البشرية وعوامل تكوينها والمؤثرات على سلوكها التاريخي.

وهو واحد من أبرز علماء الغرب الذين اهتموا بتراث R.Altamira ويكفي هنا أن نشير إلى ما أكد عليه ابن خلدون حين أكد أن مقدمة ابن خلدون هي: "في الحقيقة مؤلف في الاجتماع والفلسفة التاريخية لم يَفُقْه في الأهمية وحتى أيامنا أي مؤلف آخر."

ولقد توصل إلى نظريات باهرة في هذا العلم حول قوانين العمران ونظرية العصبية وبناء الدولة وأطوار عمارها وسقوطها.وفيما يلي سنقوم بعرض أهم إسهامات ونظريات ابن خلدون ودورها في دراسة واقع المجتمعات العربية الإسلامية من خلال بناء نظرية اجتماعية حديثة ضمن التراث الفكري العربي والإسلامي وتوظيف المفاهيم المناسبة والتي تتماشى والعصر الذي نعيش فيه.

أ– النظرية الاجتماعية عند ابن خلدون:

لقد جمع ابن خلدون إذن بين التفكير النظري والأسلوب العلمي مما ساعده على تدوين نظرياته ومشاهداته، كما مكنته تنقلاته و وظائفه من تعميق معارفه وتوسيع ملاحظاته ومكنه اطلاعه على الأوضاع عن كثب من تدقيق منهجه في التفكير وأسلوبه في الكتابة. ويمكن تلخيص المقدمة في مجموعه نظريات وأسس وضعها ابن خلدون لتجعل منه المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع على عكس ما يدعيه علماء الغرب أن المؤسس الحقيقي هو الفرنسي أوغست كونت ومن خلال قراءة المقدمة يمكن وضع ثلاثة مفاهيم أساسيه تؤكد ذلك وهي أن ابن خلدون في مقدمته بيّن أن المجتمعات البشرية تسير وتمضي وفق قوانين محددة وهذه القوانين تسمح بقدر من التنبؤ بالمستقبل إذا ما د رست وفقهت جيدا، وأن هذا العلم "علم العمران" (كما أسماه) لا يتأثر بالحوادث الفردية وإنما يتأثر بالمجتمعات ككل، وأخيرا أكّد ابن خلدون أن هذه القوانين يمكن تطبيقها على مجتمعات تعيش في أزمنه مختلفة بشرط أن تكون البني واحدة في جميعها. و قد توصل إلى نظريات باهرة في هذا العلم حول قوانين العمران ونظرية العصبية وبناء الدولة وأطوار عمارها وسقوطها. ويمكن إجمال إسهاماته بتاريخ الفكر الاجتماعي بالنقاط التالية:

–1قدم دراسة تاريخية للمجتمع حيث أشار إلى أن المجتمع يمر بثلاث مراحل تاريخية متباينة وكل مرحلة حضارية متصلة بالمرحلة الحضارية التي سبقتها.

–2قسم المجتمعات إلى أنواع مختلفة وفقا لدرجة تقدمها الحضاري والاقتصادي والفني فابرز نوعين من المجتمعات البشرية، الأول هو المجتمع الريفي و سماه مجتمع البدو والذي يتميز بظاهرة العصبية، أما الثاني فهو المجتمع الحضري الذي يتميز بمستوى اقتصادي عال وبدرجة كبيرة من التقدم الثقافي والصحي والعمراني..

–3الحركة الاجتماعية في دورة مستمرة وتؤدي وظيفتها بشكل آلي ودائم

–4الاجتماع الإنساني ضروري لان الإنسان مدني بطبعه ويسير في شرح هذه القضايا على وتيرة **أرسطو والفرابي** ويؤكد على إن عدم كفاية الفرد لنفسه يدفعه إلى التعاون والاشتراك في حياة الجماعة.

-5لقد كان ابن خلدون يدرس الظواهر الاجتماعية في حالتها الساكنة والمتحركة فكان يدرس الظاهرة وأجزائها ووظائفها وما إلى ذلك من مسائل الدراسة الستاتيكية (الساكنة) ويدرس في نفس الوقت تطورها والقوانين التي تخضع لها في هذا التطور.

وقد اهتم ابن خلدون اهتماما ملموسا بنظم اجتماعية عديدة كالنظام السياسي والنظام الاقتصادي والعلاقات المتبادلة بينهما، كما اهتم بالمقارنة بين المجتمعات البدائية والحديثة. حيث تحليلاته جاءت حول الأبعاد الاقتصادية، الثقافية والسياسية للمجتمع من خلال مشروع تحليل علمي للمجتمعات.

أما عن منهج ابن خلدون، فينطلق ابن خلدون من تناول المجتمع الإنساني من مفهومه العام وليس من مجتمع بذاته، ويتضمن هذا إيمانه بأن هناك قوانين عامة تشمل جميع المجتمعات الإنسانية ويرتكز المنهج الخلدوني على أن كل الظواهر الاجتماعية ترتبط ببعضها البعض، فكل ظاهرة لها سبب وهي في ذات الوقت سبب للظاهرة التي تليها. لذلك كان مفهوم العمران البشري عنده يشمل كل الظواهر سواء كانت سكانية أو ديموغرافية اجتماعية، سياسية، اقتصادية أو ثقافية .وقد تجسد هذا المنهج بجملة من القواعد:

ا- الشك والتمحيص

ب- قانون الأشياء من خلال التنقيب ثم التمحيص والتقيد العلمي فاستقراء الواقع وبالتالي كشف القوانين.

ج- الواقعية الاجتماعية أي النظر إلى الحقائق الاجتماعية والوجود الاجتماعي كما هو مشخص في مواده

د- القياس والاستدلال للبرهنة على قوانينه العمرانية

هـ- السبر والتقسيم كمحور للكشف الاجتماعي عند ابن خلدون في المجتمع العمراني والتعميم وأصوله وكيفية الانتقال من الجزء إلى الكل أي من الحوادث المشاهدة الأخرى التي لم تشاهد.

نظرية الدولة والعصبية عند ابن خلدون:

يخصص ابن خلدون الفصل الثالث من المقدمة للدول والملك والخلافة ومراتبها وأسباب وكيفية نشوئها وسقوطها، مؤكدا أن الدعامة الأساسية للحكم تكمن في العصبية. وقد اهتم بالعصبية اهتماما بالغا إلى درجة أنه ربط كل الأحداث الهامة والتغييرات الجذرية التي تطرأ على العمران البدوي أو العمران الحضري بوجود أو فقدان العصبية. كما أنها في رأيه المحور الأساسي في حياة الدول والممالك. كما جاء في الفصل الأول من مقدمته في أن الملك والدولة العامة إنما يحصلان بالقبيلة والعصبية .**فالعصبية** نزعة طبيعية في البشر، ذلك أنها تتولد من النسب. وإذا

كانت العصبية تقوم عند ابن خلدون على أساس صلة الرحم، والنسب، وأيضا على أساس الولاء والحلف، وكان الولاء والحلف يعبران عن شكل من أشكال (التفاهم) و(الاتفاق)، فانه يمكن القول بان العصبية تقوم أيضا على أساس من التعاقد، على الأقل في جزء من مكوناتها، وهو الولاء والحلف. وفي هذا المعنى، يمكن التأكيد،على أن مفهوم (التعاقد) عند ابن خلدون، يستند على العصبية، في أساسين:

-في أساس العصبية باعتبارها تعبر عن شكل من أشكال التجمع، المعبر بدوره عن ضرب من الاتفاق بين الأفراد.

-في أساس الولاء والحلف، باعتبارهما يعبران عن معنى من معاني الاتفاق، أيضا.

ويقرر ابن خلدون أن للدولة أعمارا طبيعية كما للأشخاص، وأن عمر الدولة لا يتعدى ثلاثة أجيال وفي نفس السياق يبين هذه الأجيال ويشرحها: "...إن عمر الدولة لا يعدو في الغالب ثلاثة أجيال: لان الجيل الأول جيل البداوة الذي يتميز بالخشونة و البسالة. و الجيل الثاني هو جيل الحضارة الذي يتميز بالترف ومظاهر الدعة. تحول حالهم بالملك والترفة من البداوة إلى الحضارة...و إما الجيل الثالث يكون هرم الدولة و تخلفها".الجيل فينسون عهد البداوة... و يفقدون حلاوة العز والعصبية...و يبلغ فيه الترف حدا يصبح الناس عالة على الدولة و يفقدون عصبيتهم أي أن الجيل الثالث هو مؤشر لزوال الدولة وانقراضها من وجهة نظر ابن خلدون.

ب- نظرية ابن خلدون السكانية:

يقدم لنا عبد الرحمن ابن خلدون المفكر الاجتماعي العربي، في غضون القرن الرابع عشر الميلادي، بعض الأفكار التي أثرت فيما بعد في تطوير الاهتمام بدراسة السكان حيث يذهب إلى أن المجتمعات تمر خلال مراحل تطورية محددة تؤثر على عدد المواليد والوفيات في كل مرحلة. إذ يشهد المجتمع في المرحلة الأولى من تطوره زيادة معدلات المواليد ونقص في معدلات الوفيات، بما يؤثر على نمو السكان ويزيد عددهم. وعندما ينتقل المجتمع إلى المرحلة الأخيرة من تطوره ، يشهد ظروفا ديموغرافية مخالفة تماما، حيث ينخفض فيها معدل الخصوبة والمواليد، ويرتفع معدل الوفيات...

إن هذه الملاحظات أو القوانين التي طرحها ابن خلدون تشكل نظرية سكانية أو ديموغرافية لها مصداقيتها على واقع المجتمعات بصفة عامة والعربية والإسلامية بصفة خاصة لأنه تطرق إلى ما نسميه حاليا بالتحول الديموغرافي والتغير الديموغرافي ومختلف الظواهر السكانية من حجم السكان ونموهم التي أصبح يهتم بها كل من علم اجتماع السكان والديموغرافيا أو علم السكان. ويوضح ابن خلدون تأثير كل مرحلة من مراحل تطور المجتمع على مستوى

الخصوبة والوفيات حيث يقول: إن الخصوبة العالية في المرحلة الأولى عائدة إلى نشاط السكان وثقتهم ومقدرتهم العالية ، أما في المرحلة الأخيرة فتزداد نسبة الوفيات نتيجة الأوبئة والثورات والاضطرابات مما يقلل من نشاط السكان، وبالتالي ينخفض نسلهم وقدرتهم على الإنجاب والتناسل.

لقد تحدث ابن خلدون في مقدمته الشهيرة عن القوانين التي يسير عليها التزايد في النوع الإنساني، وبذلك سبق "مالتس" في نظريته التي اشتهر بها، وهي نظرية "تزايد السكان". ويمكن القول بهذا السياق أن ابن خلدون قد ربط تطور الاقتصاد وازدهاره بكثرة عدد السكان، أما قلتهم فاعتبرها سببا مباشر يؤدي إلى تدهور الاقتصاد. ولعل أهم أراء ابن خلدون في هذا المجال، أن المجتمعات السكانية المستقرة تحظى بارتفاع في مستوى معيشة أفرادها، وذلك لان كبر الحجم السكاني يسمح بتقسيم العمل بشكل أكثر تخصصا، ويساعد على استثمار أكثر فعالية وجدوى للموارد، ويوفر كذلك قاعدة لإقامة امن اقتصادي وسياسي واجتماعي أفضل.

ج– النظرية التربوية عند ابن خلدون:

لابن خلدون مساهمة فعالة في علم اجتماع التربية بصفة خاصة وعلم التربية بصفة عامة والذي لم يكن معروفا كعلم أكاديمي مستقل مثل اليوم، وقد عملت دراسات كثيرة حول الفكر التربوي الخلدوني، ويمكن إجمال أفكاره التربوية في النقاط التالية:

–أن العلم ينقسم إلى علمين علم نقلي وعلم عقلي.

–التدرج في التعليم حيث يقول ابن خلدون في الفصل السابع و الثلاثون في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق إفادته ‘‘اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا، إذا كان على التدريج، شيئا فشيئا وقليلا قليلا، يلقى عليه أولا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب.... و يراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه... وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم... فان قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشا تدريجيا ... ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم ان لا يخلط على المتعلم علمان معا‘‘...

–البدء بالمحسوسات والتدرج حتى الملموسات.

–يكون تعليم الصبي بداية بعض سور القرآن الكريم وبعض الأشعار حتى تقوى ملكة الحفظ.

بالنسبة لابن خلدون هناك علاقة أساسية بين المعرفة والتعلم والتدريس أو التعليم : فالمعرفة العلمية هي عملية استطرادية وبناءة ولا تنحصر فقط في بث أو نشر وحفظ للمعارف المتكونة وإشراك لحركة التعليم والتعليم الذاتي. وقد جاء في الفصل الأول من الباب السادس في أن العلم والتعلم طبيعي في العمران البشري وفي الفصل الثالث

من الباب السادس'' في أن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة والسبب في ذلك أن تعليم العلوم كما قدمناه من جملة الصنائع''و يتطرق ابن خلدون إلى قضية مهمة جدا وهي طريقة التعامل مع المتعلم والتلميذ حيث يذكر في الفصل الأربعون في أن الشدة على المتعلمين مضرة. وان ما يمكن الإشارة إليه أن المؤسسات التربوية والتعليمية في مجتمعاتنا العربية الإسلامية تعيش مشكلات كثيرة متنوعة ومتعددة لا تختلف عن ما تطرق إليه ابن خلدون في عصره وقد تلعب هذه النظرية دور هام في فهم و حل هذه المشكلات.

د– نظرية المراحل الثلاث للمجتمعات والتغير الاجتماعي عند ابن خلدون:

يعتقد ابن خلدون أن التغير سمة أساسية مستمرة، فالجماعة الإنسانية لا تبقى على حالها و لهذا وضع نموذجا لبداية الجماعة .**ويرى** ابن خلدون أن البداوة تمثل نموذج الجماعة بداية، تتحول تدريجيا لتصل إلى النموذج الحضري، ''فالبدو أصل للمدن والحضر وسابق عليهما..." ومما يشهد لنا أن البدو أصل للحضر ومتقدم عليه...أن أحوال الحضارة ناشئة عن أحوال البداوة وأنها أصل لها...وقد تبين أن وجود البدو متقدم على وجود المدن والأمصار وأصل لها''. وبالتالي يتحول النموذج البدوي تدريجيا بتبدل نحل العيش ليصل أو يندمج في النهاية في النموذج الحضري. ولان مبدأ التطور يمثل قانون الطبيعة، الذي ينطبق على كل أشكال الحياة، فانه يشمل أيضا التطور الاجتماعي.

تتضمن محاولة ابن خلدون في تناوله لعملية التطور الاجتماعي جانبين ، يشير الجانب الأول إلى أن التغير عملية طبيعية مستمرة، أما الجانب الثاني فيشير إلى التباين في عملية التطور بين الجماعات لاختلاف ظروفها، يشمل هذا التباين الاختلاف في درجة سرعة التغير من جهة واتجاهه من جهة أخرى. وللتغير لدى ابن خلدون أسباب خارجية وأخرى داخلية، تشمل الأسباب الخارجية علاقة الإنسان بالبيئة الطبيعية، مواردها، جغرافيتها والمناخ، وعلاقة الجماعة بغيرها من الجماعات سواء كان هذا بالاتصال، أو التحالف أو الاتحاد، أو التبدل في الروابط الاجتماعية وضعف العصبية التي يمكن أن تعتبر نتيجة وسبب .هذه النظرية أساسية ويجب ربطها بجانبين من فكره : وضع أو إقامة النماذج الاجتماعية (التنظيم الأسري، القبائل و الأمم)، التكنولوجيا، العلوم و الأديان وهذه النظرية تتعلق بالنظام الاجتماعي في كليته. فالمدينة ليست مستقلة عن البادية أو العالم البدوي. فهي تستمد منه القوة العسكرية والسلطة بمعنى الوسائل التي تسمح لها بالحفاظ على النظام الداخلي والاحتماء من التهجمات والأخطار الخارجية، حماية الطرقات وتنظيم الشبكات التجارية ذات السلم الكبير .ويصف ابن خلدون شكل للحركة الاجتماعية أي الانتقال من حالة قديمة إلى حالة جديدة حيث يبين تجديد السكان الحضريين وتركيبة النظام. ومنه فان علم العمران البشري والاجتماع الإنساني علم شامل يتضمن بحث التشكيلات الاجتماعية وما تشمله من نشاطات وتنظيمات اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية بالإضافة إلى تطور المجتمعات وأسباب تغيرها .

*كما له إسهامات في ميادين أخرى مثل علم الاجتماع البيئة والعلوم الشرعية والطبيعية حيث عرف ابن خلدون البيئة في مقدمته بأنها مكان تتوافر فيه إمكانات معينة والإنسان وحده هو المهيأ للاستفادة من هذه الإمكانات وإحداث التغيرات فيها بحسب ما تقتضيه ظروفه في المعاش و العمران البشري كما يجب أن لا ننسى نظريته الشهيرة و المهمة في الاقتصاد و التي لاتزال صالحة وفعالة إلى يومنا هذا.

خلاصة:

من خلال ما سبق يتبين لنا أن ابن خلدون تطرق لمختلف أوجه الحياة الاجتماعية خلال عصره ورغم إن المجتمعات الإسلامية عامة والعربية خاصة مثلها مثل كل مجتمعات العا لم عرفت تغيرات عميقة لبنيتها الاجتماعية ومؤسساتها السياسية والاقتصادية والثقافية وهي لا تزال مرتبطة بماضيها ولو نسبيا أو ذاتيا وثقافيا. ورغم هذه التغيرات الجذرية في حياة الإنسان والحياة الاجتماعية والثقافية، فان معرفة ما تراكم من معرفة في العلوم الاجتماعية يبقى من مصادر تأهيل الإنسان لفهم أفضل، والقدرة على بناء معرفة تتوافق مع الواقع الجديد. فكثير مما توصل إليه المفكرون لا يزال صالحا، على الأقل في بعضه، لفهم الحاضر وتغيراته. وبالتالي قد تكون أفكار ونظريات ابن خلدون نافعة لها فنحن أولى بدراستها وفهمها من الأوروبيين والأمريكيين واليابانيين ومحاولة فهم وحل المشاكل الماضية والحاضرة وفهم جذور الصعوبات الحالية. فان قراءة ذكية وعميقة لابن خلدون قد تساعدنا على وجود حلول ليس بالضرورة جاهزة لمختلف المشاكل في شتى الميادين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية والصحية...الخ . فنحن أمام ضرورة الرجوع إلى تراثنا الفكري الإسلامي والعربي الأصيل لدراسته وتحليله وابراز الجوانب المضيئة فيه وتنقيته من الشوائب التي علقت به وإحيائه وتطويره وتجديده ونشره وإعادة شرحه وتفسيره بما يناسب مقتضيات العصر وحاجياته ومحاولة الوصول

المحور الرابع :المحاضرة السادسة

السوسيوانتروبولوجيا وبناء الموضوع المحلي

تعد السوسيوانتروبولوجية علم اعمق واشمل من الانتروبولوجيا حيث انها تتميز بالدراسة الميدانية للإنسان في المجتمع عن طريق المعايشة ،حيث يستطيع الدارس في هذا المجال التعرف بعمق على الثقافة والسلوك والعادات والتقاليد في ذلك المجتمع وما يميز هذا العلم اليوم هو انتقاله الى المجتمعات الحديثة المعاصرة المحلية خاصة حتى تبين الاختلاف بين القديم والحديث و تحاول تبرير التحديث الذي اصبح مسعى وهدف كل الشعوب.

1-تعريف السوسيوانتربولوجيا ،كيف تعرق السوسيوانتربولوجيا؟ في الواقع لقد تم اقتراح عدة إجابات على هذا السؤال

-**تعريف بيار يوفييه**:فان السوسيوانتربولوجيا تتجلى من خلال الوضع الحالي المتسم بانهيار البنى وفقدان المعايير موضوعا للدراسة وهذا مجال المشروع السوسيوانتروبولوجي

-كما يعبر عنها **يوفييه** ".....هي تلك الرؤية التي تقترح من خلالها اشكال أخرى للواقع تكون منفتحة على كل فهم جديد مركزة على الفردي والجماعي في تحولاتهما وتقاطعاتهما المؤية الى بروز ما بسميه ي**وفييه** ببنى الممارسة الكشفية وحتى المجموعات السكانية المتماسكة منطقيا ولو كان وجودها مؤقت

-اما بالنسبة **لجان بيار اولفييه دوساردان** فيرى ان السوسيو انتربولوجيا هي الدراسة الامبريقية متعددة الابعاد للمجموعات الاجتماعية المعاصرة وتفاعلاتها في اطار منظور زمني والتي يجمع فيها تحليل الممارسات والتصورات

-كما يرى كذلك ان السوسيوانتربولوجيا هي عبارة عن الانتربولوجيا الاجتماعية وتاريخية وهي تحاول المع بين نظرة الفاعل وتحليل الاكراهات السائدة والامكانيات الجماعية المتاحة

(من خلال التعاريف السابقة حدد المفهوم الاجرائي)

2-**المنهج في البحوث السوسيوانتربولوجيا وطرق البحث**: من المعلوم ان المنهج الأساسي في الانتربولوجيا العامة هو منهج الملاحظة بالمشاركة باعتبارها الطريقة الوحيدة التي يلجؤون اليها من اجل تسجيل الملاحظات وتصرفات الفاعلين بشكل دقيق وكذلك القيام بالدراسات المنوغرافية وكذلك المنهج الاثنوغرافي ليسجل حياة الأشخاص ،كذلك الاعتماذ على ذاكرة كبار السن والتي اعتبرت ركيزة في تحديد جوانب بناء المجتمع والكيفية التي يقوم بها التساند والتوازن والتكامل الوظيفي بين تلك الجوانب ،بينما اعتمدت الدراسة السوسيولوجية القديمة على الوثائق والإحصاءات الرسمية وكشوف البحث والاسنبيان .

الا ان الانتربوبولجيا أحرزت تقدما كبيرا في استخدام الطرق المقننة في كشوف الاستبيان واستمارات البحث وفي الاعتماد على الأساليب الكمية وطرق الملاحظة بالمشاركة وغيرها من الطرق التقليدية في تعميق تحليلاتها .

3-**ثنائية علم الاجتماع والانتروبولجيا** :من المعروف الان بين المشتغلين بالعلوم الاجتماعية كما هو معروف في الدراسات النظرية والحقلية في هذا المجال ان هناك مبحثين متمايزيين في دراسة المجتمع حيث يعرف المبحث الأول

بعلم الجتماع ويعرف المبحث الثاني بالانتربولوجيا الاجتماعية بفروعها المتمايزة ،وعلى الرغم من المبررات التي تساق لتفسير هذه الثنائية القائمة بينهم انها تهتم بدراسة موضوع واحد وهم بناء المجمتع في جوانبه المتعددة .

ان من بين الأسباب التي ساعدت على تاصيل الثنائية بين علم الاجتمع والانتربولوجيا العامة في البحوث الحقلية والنظرية التقليدية ما يرجع الى نشأة الأنثروبولوجيا العامة ذاتها كعلم اهتم بمشكلات معينة غي الحياة البشرية ولم يستطع علم الاجتماع التقليدي وخاصة علم الاجتماع عند اوجست كونت وامايل دوركايم أن يستوعب المشكلات وان ينظم المادة الوصفية التي جاء بها الرحالة والمبشرون الذين عملوا في شعوب المستعمرات الافريقية بوجه خاص مثلا التميز السلالي ، الفروق اللغوية والعرقية والنمط القبلية وأنماط الزعامة الدينية والسياسية والسحر والفن البدائي فنشأت الأنثروبولوجيا كسلة تلقي بها كل الموضوعات التي لا تصنف في المجالات التقليدية لعلم الاجتماع ومن ثم فقد نظمت الأنثروبولوجيا فروعها الأساسية .

- كذلك ارتبطت الثنائية بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية باهتمام علم الاجتماع بصفة عامة بالمجتمعات الحضرية والصناعية في حين ركزت البحوث الانثربولوجية الاجتماعية التقليدية على دراسة ما يعرف بالمجتمعات البدائية .
- لكن بالرغم من التمايز بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية وجد ان الانثربولوجيا العامة فقدت كثير من مبررات وجود كعلم متمايز في دراسة الانسان ،حيث ظهر لها فروع وازدهر علم اللغويات والتشريح المقارن والفلكلور، ولم يبقى للانثربولوجيا من موضوع للبحث سوى بناء المجتمع ومكوناته ، كما نجد على الرغم من ان علم الاجتماع عني بالانماط المجتمعية الحديثة وخاصة مشكلات الاسرة والاضطرابات النفسية والاجتماعية التي تصاحب مثلا الانتحار وملابساته الاقتصادية والسياسية وبمشكلات التنظيم الطبقي والانساق الطائفية في المجتمعات الحضرية، اذ ان هناك دراسات سوسيولوجية بالغة الأهمية في الأنماط المجتمعية الريفية والبدوية ومن ناحية أخرى فقد اهتمام الباحثين الانثربولوجيين بتلك المشكلا التقليدية في الأنماط المجتمعية البدائية كدراسة نظم الزواج والشعائر الدينية وهناك الان دراسات انثربولوجية حقلية لكثير من مشكلات المجتمع الصناعي كمشكلات الهجرة ومشكلة الصراع العرقي ومشكلة التنمية الاجتماعية ومشكلات الانحراف ومشكلات التربية .